



الحلقة ٢٧

حديث السياسي، بعيداً هُلاً عن السياسة، بات وكأنه تهمة بالغياب عن الصورة أو انعدام الموقف أو شبهة يجفاف الذاكرة . ذوات سبق وتحديثا، بعيداً عن السياسة ، وكانوا متعنين في سردهم الهادئ، اختلفت نبرة الكثيرين منهم هذه المرة. حديثهم أضحي أكثر إثارة

بالمواقف وأثرى بالتفاصيل التي وإن كان عمرها أكثر من خمسين سنة إلا أنها تأتي موصولة بالذي نراه الآن ويفاجئنا . الحكيم هذه المرة ، له ميزة أخرى. فهو يكشف أن العديد من رجال الدولة الذين لم تكن ترى منهم سوى صفحة التجهيم واليباس، هم بعد التقاعد أصحاب بديهة راقية وتسعهم النكتة عندما تخرجهم الأسئلة.

ملك التل

هل يمكن العثور على سياسي أردني واحد لديه الجرأة أو المزاج أو قدرة التحكم بلسانه بحيث يكتب بالحديث، بعيداً عن السياسة، وفي هذا الوقت بالذات؟ تقصد في فصل الربيع العربي ، الذي أصبح فيه كل شيء سياسة، وسياسة تقوم في فائض الشك ونكبات الريية ومحضرات رفع الصوت. في السنوات الماضية وحتى فترة غير بعيدة، كان الحديث، بعيداً عن السياسة، مغرباً وممتعاً للسياسيين المحترفين، فما يعرفونه ويجهله الشارع، هو أكثر بكثير مما يودون الخوض فيه. الآن تغير الوضع واختلطت بعض الاشارات الحمراء بالصفرى بالخضراء ..

طاهر المصري ضمير السياسة الأردنية .. الرجل الذي لا يضيع بوصلته (٩-١٤)

عن قرار فك الارتباط فان لديه ما يقوله من تفاصيل قد لا يعرفها الكثيرون. أبو نشأت الذي أنهى دراسته في جامعة تكساس في الولايات المتحدة الأمريكية، بدأ حياته الوظيفية في البنك المركزي أيام تأسيسه (براتب ٥٠ ديناراً شهرياً). مروحة المهام التي تولاهها بعد ذلك توسعت، من النيابة إلى الوزارة إلى رئاسة الحكومة إلى رئاسة مجلس النواب ورئاسة مجلس الأعيان. هذا عدا التمثيل الدبلوماسي للاردن والمهام القومية المدنية. وفيها كلها ظل متمسكاً بمنظومة المبادئ الشخصية التي يقول في مدونته الشخصية على الانترنت أنها ألقت بظلالها على مسيرته السياسية والاجتماعية ولعلها هي ذاتها الانطباع الشائع عنه بأنه «رجل لا يضيع بوصلته».

بعضاً مما أوردته موسوعة ويكيبيديا عن الرجل. فهي تنقل كلمة المغفور له بإذن الله الملك الحسين عندما قال له: «ما تعاملت مع إنسان أشرف منك يا طاهر». وفي سياق آخر يوصف أبو نشأت بأنه ضمير الحياة السياسية الأردنية، كونه يؤمن بمدنية الدولة إيماناً أهله لأن يتولى على المستوى القومي مسؤولية قطاع المجتمع المدني في الجامعة العربية أيام تعاظم الإحساس بضرورة الإسراع في الإصلاح. فقد نشأ الرجل على الإيمان القومي حد التصوف. وهو يعتبر وحدة الضفتين تحدياً قومياً وطنياً لاتفاقية ساكس بيكو. وفي تجسده لمفهوم وسلوكيات الوحدة الوطنية كان الأبعد عن جدل المحاصصة والحقوق المتفوضة. وحين يتحدث في هذه الحلقات

الأردني الهاشمي، موروثاً عائلي سابقاً لوحدة الضفتين عام ١٩٥١. وقد صرّزه الرجل بالممارسة الشخصية الشاقّة. في عام ١٩٩١ أثار أن تستقيل حكومته على أن يحل مجلس النواب، فسجلت له ضمن سفر الحياة الديمقراطية. كان له حضوره في لجنة الميثاق الوطني، ومن فوقها بنى جهوداً أثيرة في رئاسة اللجنة الوطنية الأخيرة للحوار السياسي. وحين يسأل الرجل عن تجربته مع الإخوان المسلمين في حكومة ال ٩١ وفي لجنة الحوار فإنه يستذكر تفاصيل تستحق التسجيل في قاموس الحياة المدنية والحراك الديمقراطي، حيث الاختلاف السياسي لا يؤثر على الاحترام الشخصي المتبادل.

الوحيد الذي ، نجا ، من هاتين الصفتين. فالرجل لشدة تواضعه وعزوفه الفطري الصادق عن سماع التبريز الفائق، لن يرضيه أن يقال عنه أنه من رجال الدولة ذوي السوية الضريفة الذين لم تحرقهم السلطة ولم يندرجوا في الاصطفاات الخلفية ولم تتلوث أيديهم بالموبقات السياسية أو المالية. ولأنه كذلك فإن التحرش بذاكرته السياسية للسنوات العشرين الماضية مسألة صعبة ممتعة. في المملكة المغربية يطلقون على رجالات الدولة المرصودين للمهام الكبيرة، تعبير رجال «الخزان»، باعتبارهم يفترض أن يكونوا ثقاتاً عدولاً أقياء وذوي أفق مبدع لتولي القضايا المفصلة أو الصعبة. أبو نشأت (ونشأت أيضاً اسم والده) له في «الخزان

الذين حاولوا توصيف الحياة السياسية الأردنية، تفاوتت تقديراتهم بشدة على أمور كثيرة، لكنها اتفقت على نقطتين: الأولى أن هذه الحياة السياسية محرقة لرجالها، فلم يولد في السنوات العشرين الماضية. فلم يغادر رئيس وزراء إلا وكان التصور أنه لن يعود بعدها لكثرة ما كانت تلحقه في أيامه الأخيرة من حملات تغيير. والصفة الثانية للحياة السياسية الأردنية أنها بدون ذاكرة مدونة. لا تفسير واضحاً لهذه الظاهرة سوى احتمال أن يكون رؤساء الحكومات السابقون لا يريدون تدوين مذكراتهم لكثرة ما التبس فيها من أمور يصعب تدوينها بموضوعية. طاهر المصري، رئيس مجلس الأعيان والرئيس الأسبق للوزراء، لا نريد أن نقول أنه

هذه قصة فك الارتباط الذي اعتبرته في حينه نقطة سوداء



مع «حماته، وزوجته في لبنان عام ١٩٦٦



لقاء مع مجموعة من الشباب

يأتون مع الملك عبدالله ويتنامون عندنا في البيت.. جلالتهم طيب الله ثراه كان يأتي مراراً لبيت الحاج معزز المصري، لكنه لم يصلي ولا مرة صلاة الجمعة في نابلس، إلا في الأقصى. كان يمضي ليلته في بيت العم معزز جلس حوله.. كنت في الثامنة من عمري واذكر في إحدى المرات أنه أعطاني خمسة دنانير. أبناء العائلة المقربون كانوا يتواجدون في البيت، فأصبحت هناك علاقة بيننا. يوم استشهاده نزل من الدرج ومعه الحاج معزز وعمي حكمت ووالدي نشأت. الحاج معزز كان يتجراه أن يصلي تلك الجمعة في نابلس، لكن جلالتهم أصراً إلا في الأقصى. غادر بسيارة «كاديلاك» وكانت عادة أهل البلد أن يودعوا الملك على حدود المتصرفية، حتى قرية اللين. كان لوالدي سيارة كبيرة أميركية، فأخذني واثنين من إخواني ولحقنا بالملك وودعناه وذهب إلى القدس ونحن غادرننا إلى رام الله لتناول وجبة الغداء في مطعم أوتيل حريب.. في الأثناء كنا نستمع لإذاعة القدس بنقل صلاة الظهر من المسجد الأقصى وإذ باطلاق نار وأغلقت الإذاعة، والذي قال: «راح الملك... وعدنا إلى نابلس خوفاً من أن تغلق الطرق، وفي نابلس سمعنا خبر اغتياله يرحمه الله. كان يوماً لا ينسى وحادة عشتها وما زلت كلما أذكرها أتألم لما عرفناه عن جلالتهم من حميمية وتواضع وشجاعة. في الحلقة القادمة: طاهر المصري، المدبونية الخارجية والداخلية سبب انهيار الدينار الأردني».

كوزير للخارجية، وحصل اتفاق أن أخرج من الحكومة باتفاق بيني وبين رئيس الحكومة. في نيسان ١٩٨٩ وبعد أربعة أشهر حصلت أحداث الجنوب واستقلت حكومة زيد الرفاعي.

■ قبل الخوض في أحداث الجنوب هل كان مقصوداً ان يتم قرار فك الارتباط من جانب أردني من أصل فلسطيني؟

شخصياً لم أكن على علم بقرار فك الارتباط إلا من الراديو مثلي مثل بقية الناس، وليلتها كنت مدعوا عند الأمير الحسن على عشاء، وأخبرت سموه وأنا غاضب بأن فك الارتباط يسجل نقطة سوداء في سجل الدولة الأردنية. بالنسبة لي موقف معروف وكنتم ضد القرار... قاومت واستقلت على هذا الأساس.

■ هل وجدت بعد كل السنوات أن قرار فك الارتباط هو الأسلم؟

الآن قرار فك الارتباط حصل، وهو حقيقة، ولأن الظروف تغيرت اعتقد أنه ربما كان له ضرورة إعطاء الضفة الغربية تلك الصفة حيث أبرز الهوية الفلسطينية مقابل الطمع والمخطط الإسرائيلي.. نعم أظهر أن له ضرورة، والآن أقول بأن فلسطين هي فلسطين والأردن هي الأردن، ولا أريد أن أتحدث عن أحداث غزة كبدية للالتفاضة واستمرت واشتعلت في الضفة الغربية. في شهر حزيران عام ١٩٨٨ جاء أحمد الطالب إبراهيمي وزير خارجية الجزائر إلى الأردن في زيارة لمقابلة الملك الحسين وكانت المفاجأة للجميع بإعلانه أن الجزائر سوف تطلب عقد قمة في الجزائر بعد أيام قليلة لدراسة الوضع في فلسطين. غضب الملك الحسين غضباً شديداً لأنه اعتبر ذلك سرقة لرئاسة القمة منه بعد ٦٠ أشهر بدون مبرر، وإن جلالتهم هو المقصود. انعقدت قمة الجزائر وتمادت منظمة التحرير في الهجوم على الأردن مطالباً بالقمة العربية بسحب كل صلاحيات التعامل مع الضفة الغربية من الأردن وإعطائها لمنظمة التحرير، فكانت الأجواء غاضبة في الأردن.. في ظل هذه الظروف عاد الملك الحسين وبدأ يخطر بذهنه فكرة فك الارتباط، لكنني لا أزمع بأن الفكرة بدأت من ذلك المؤتمر.

من حيث المبدأ، أنا وحدوي، أو من بوحدة الضفتين، واعتبر أنه ارتكبت أخطاء كثيرة من قمة الرباط إلى ذلك الوقت، فأبدت رغبتني بالاستقالة، لأنني لا أستطيع أن أذاع من قرار فك الارتباط

قرار فك الارتباط الذي تم، فتركت برضاي وابتفاق مع الرئيس زيد الرفاعي.

■ تردد في الأوساط السياسية ان الرفاعي طلب منك تقديم استقالتك؟

هذا ليس صحيحاً وموقفي كان واضحاً ومعروفاً لدى العديد من الناس. استقالتني كانت معروضة على الرئيس الرفاعي قبل قرار فك الارتباط وتم الضغط علي بشدة من كافة الجهات للعدول عن تقديمها يوم فك الارتباط حيث كنت عائداً من بغداد على اعتبار ان القرار أمر قد حصل وبناء على ذلك قررت عدم مزاوله عملي، ويضغط هائل اضطررت للبقاء في الوزارة حتى لا تشكل استقالتني ارباكات للحكومة ولعملية فك الارتباط، واعترف أنني لم أمارس عملي كوزير للخارجية بالطريقة التي كنت أمارسها حيث لم أعتبر نفسي وزيراً لتلك الحكومة وخلافي كان شديداً جداً معها.

■ تفاصيل قرار فك الارتباط:

قبل بداية الانتفاضة التي أخذت دوراً كبيراً على كل الأصعدة انعقدت القمة العربية في عمان في نوفمبر ١٩٨٧ برئاسة الملك الحسين، وكانت قمة ناجحة سميت «بالوفاق والاتفاق». وكما سبق وذكرت كان الأردن على علاقة حسنة مع كل الدول العربية، وكانت الحرب العراقية الإيرانية في أوجها. بدأت أحداث غزة كبدية للالتفاضة واستمرت واشتعلت في الضفة الغربية. في شهر حزيران عام ١٩٨٨ جاء أحمد الطالب إبراهيمي وزير خارجية الجزائر إلى الأردن في زيارة لمقابلة الملك الحسين وكانت المفاجأة للجميع بإعلانه أن الجزائر سوف تطلب عقد قمة في الجزائر بعد أيام قليلة لدراسة الوضع في فلسطين. غضب الملك الحسين غضباً شديداً لأنه اعتبر ذلك سرقة لرئاسة القمة منه بعد ٦٠ أشهر بدون مبرر، وإن جلالتهم هو المقصود. انعقدت قمة الجزائر وتمادت منظمة التحرير في الهجوم على الأردن مطالباً بالقمة العربية بسحب كل صلاحيات التعامل مع الضفة الغربية من الأردن وإعطائها لمنظمة التحرير، فكانت الأجواء غاضبة في الأردن.. في ظل هذه الظروف عاد الملك الحسين وبدأ يخطر بذهنه فكرة فك الارتباط، لكنني لا أزمع بأن الفكرة بدأت من ذلك المؤتمر.

من حيث المبدأ، أنا وحدوي، أو من بوحدة الضفتين، واعتبر أنه ارتكبت أخطاء كثيرة من قمة الرباط إلى ذلك الوقت، فأبدت رغبتني بالاستقالة، لأنني لا أستطيع أن أذاع من قرار فك الارتباط

إعادة المجلس إلى نشاطه بعد أن تعطل ١٠ سنوات، وللتناقص في عدد النواب بسبب العمر والزمين والوفاة. كان لا بد من دعوة المجلس للانتعاد. وباعتباري نائباً في ذلك البرلمان المجمع، غادرت لندن مؤقتاً لحضور الاجتماع وقررت الاستقالة من النيابة لأعود كسفير. كان رئيس الحكومة مضر بدران قد استقال وتم تكليف أحمد عبيدات الذي كان وزيراً للداخلية في حكومة بدران. عرض على الرئيس عبيدات حقيبة وزارة الخارجية، وأخبرته رغبتني بالعودة سفيراً، لكن تمت في النهاية ترتيبات حملت فيها حقيبة الخارجية في تشكيلة ١٩٨٤/١/١٠

■ مسؤولية في مرحلة صعبة؟

المرحلة لم تكن صعبة علي، لكنني أصبحت في موقع مسؤول، كوزير خارجية للمملكة الأردنية الهاشمية. جاء ذلك في وقت كان يزخر بالصراعات في المنطقة منها موضوع منظمة التحرير ومن يمثل الفلسطينيين، وموضوع خروج الفلسطينيين من بيروت وذهابهم إلى تونس. منظمة التحرير كانت تذوب شيئاً فشيئاً ولم يسأل أحد بأني عماد بعد خروجه من بيروت باستثناء الملك الحسين. المجلس الوطني الفلسطيني السابع عشر انعقد في عمان عام ١٩٨٤، ويعدده كان جلالة الملك يدعو إلى المؤتمر الدولي ويتواصل مع الأوروبيين والأميركان والاتحاد السوفيتي. كان هناك نشاط دبلوماسي هائل لكنه مريح. وكوزير للخارجية كنت مسؤولاً عن كثير من هذه النشاطات والسياسات، إلا أن أخطر ما واجهناه كان الحرب العراقية الإيرانية التي انتهت عام ١٩٨٨. كان لنشاطنا الأردني معان كثيرة. الأردن كان مؤيداً داعمياً للعراق ويساهم معه في تحقيق أهدافه وتوقيته عسكرياً وبالتسليح.. الخ. كنت كوزير خارجية في خضم هذه النشاطات. العلاقات العربية والدولية كانت جيدة جداً ومعروفة بسبب هذا التنوع في النشاط الدبلوماسي .. كانت مريحة حيث لم تكن هناك صراعات مع الأردن إلا في حالات معينة كالالاتفاق الأردني الفلسطيني الذي بدأ يتبع من النزاعات والخلافات

■ في حكومة زيد الرفاعي استقلت أم أقلت؟

بعد خمس سنوات إلا ١٩ يوماً من عمر حكومة ١٩٨٤ قدمت استقالتني لخلاف مع الرئيس لمواقف سياسية كنت أرى فيها اختلالات في السياسات الأردنية عندما كنا نناقشها في مجلس الوزراء. ممارسات كثيرة وأمور داخلية متعددة لم تكن تسير في مسارها الصحيح، إضافة انني كنت ضد مفهوم

الليلة الأخيرة قبل استشهاده على مدخل الأقصى الشريف، أمضاها المغفور له بإذن الله الملك المؤسس عبدالله الأول- كعادته كلما كان بالصفحة - في مضافة الحاج معزز المصري . ورغم أن طاهر المصري كان في حينه صبياً بعمر ٨ سنوات إلا أنه يستحضر اليوم تلك التفاصيل بتفاصيلها الحية ونشأت المصري أوجهاً على الملك عبدالله المؤلمة، كيف ان الحاج معزز ومعه حكمت ونشأت المصري أوجهاً على الملك عبدالله ان يصلي الجمعة في نابلس لكنه اصبر على الأقصى . وينسب الذاكرة المتوقفة يستحضر الرئيس المصري تفاصيل غير شائعة عن ظروف وحيثيات قرار فك الارتباط الذي كان أبونشأت - كوحدي عربي قومي - وصفه في حينه بأنه نقطة سوداء في سجل الدولة الأردنية استدعت ان يستقيل طوعاً كوزير خارجية في حكومة زيد الرفاعي . أما الآن وقد تغيرت الظروف فان المصري يرى ان فك الارتباط كان صائباً وان الأردن هو الأردن و فلسطين هي فلسطين .

■ وزيراً في حكومة عبيدات: في نهايات عام ١٩٨٣ كانت الشواغر تزايدت كثيراً في مجلس النواب. أيامها قرر جلالة الملك

كوزير للخارجية في حكومة

عبيدات ١٩٨٤ عايشنا فترة

مرتاحة لكنها زاخرة اقليمياً

وبالذات في موقف الأردن

الداعم للعراق في حربه مع

ايران

أمضى الملك المؤسس .. الليلة

التي سبقت اغتياله في بيت

الحاج معزز المصري ورجاه

ان يصلي الجمعة في نابلس

لكنه أصراً على الأقصى وغادر

بسيارته الكاديلاك وكان دائم

المبيت لدينا وذات مرة أعطاني

خمس دنانير